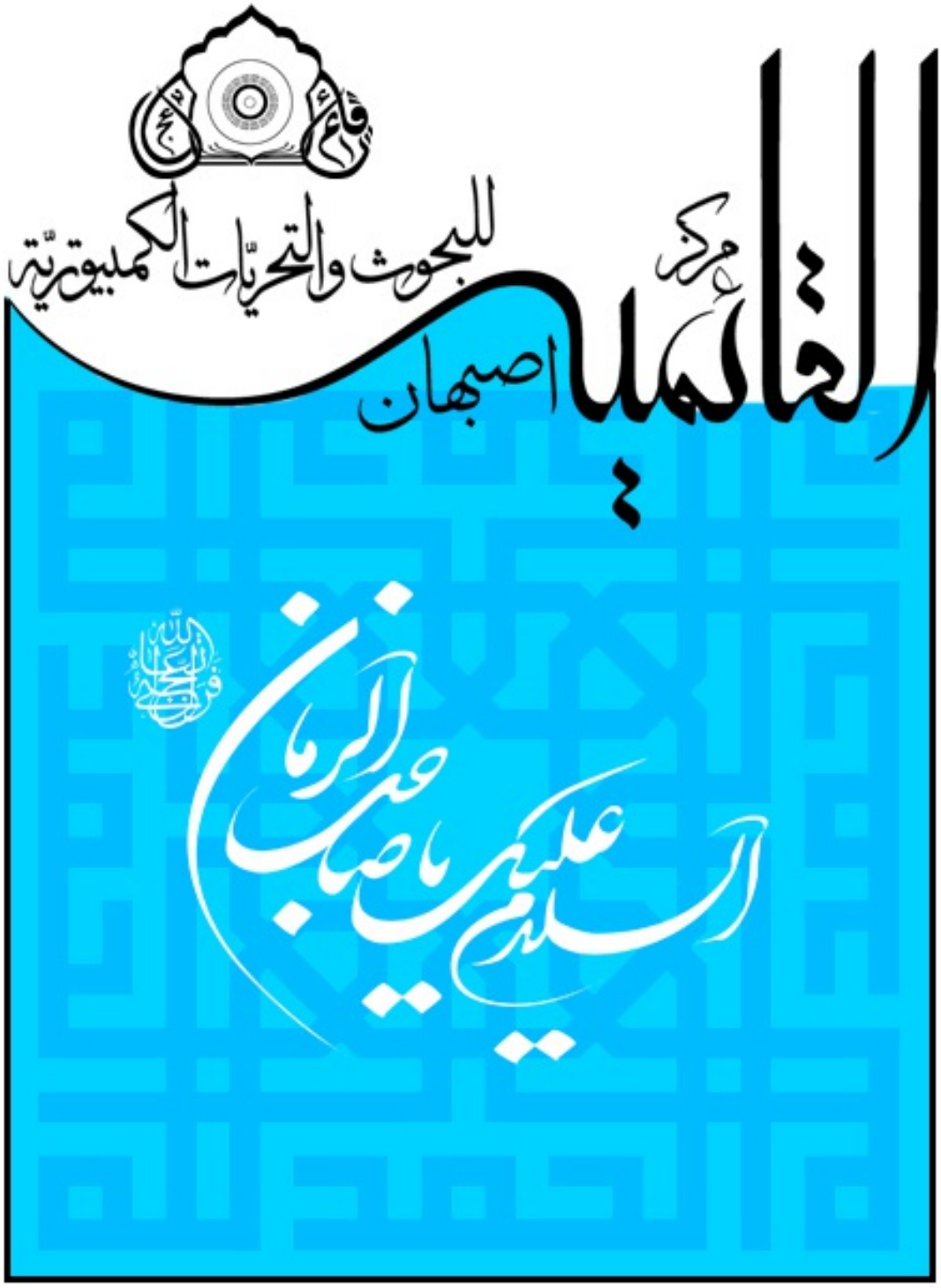


www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

# التوسّل

## وصلته بالتوحيد

تأليف: حسين رجبي
ترجمة: أسعد الكعبي

بسم الله الرحمن الرحيم

# التوسل وصلته بالتوحيد

كاتب:

حسين رجبى

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

الفهرس ----- ۵
التوسل وصلته بالتوحید ----- ۶
اشاره ----- ۶
اشاره ----- ۶
کلمه المعهد ----- ۱۰
المقدمه ----- ۱۲
ما هو التوسل؟ وما هی طبیعه الصله بینه وبین التوحید؟ ----- ۱۴
اشاره ----- ۱۴
تفصیل الموضوع ----- ۱۵
الوسائط فی عالَمی التکوین والتشریع ----- ۲۲
التوسل من وجهه نظر مفکّری الشیعه والسنه ----- ۳۴
اشاره ----- ۳۴
آراء علماء قریتی دیوبند وبریله الهندیّتین ----- ۳۵
مُقتطفات من کتاب المهنَّد علی المفنِّد ----- ۳۷
أقوال بعض علماء السُنّه ----- ۴۰
التوسل بالنبی (ص) فی حیاته البرزخیه ----- ۴۴
المنع من التوسل، بدعهٌ أُمویه ----- ۵۶
أسئله تنتظر الرد من منکری التوسل ----- ۶۰
اشاره ----- ۶۰
فالتوسّل فی الحقیقه علی عدّه أقسامٍ: ----- ۶۴
تعریف مرکز ----- ۷۲

# التوسل وصلته بالتوحيد

## اشاره

سرشناسه : رجبی ، حسین ، ۱۳۳۷ -

عنوان قراردادی : توسل و رابطه آن با توحید .عربی

عنوان و نام پدیدآور : التوسل وصلته بالتوحید/ تالیف حسین رجبی؛ ترجمه اسعد الکعبی.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر ، ۱۴۳۴ ق. = ۱۳۹۲.

مشخصات ظاهری : [۶۸] ص. ؛۱۶/۵×۱۱/۵س م.

شابک : ۷۵۰۰ریال : ۹-۴۱۶-۵۴۰-۹۶۴-۹۷۸

وضعیت فهرست نویسی : فاپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : توسل

موضوع : وهابیه -- دفاعیه ها و ردیه ها

شناسه افزوده : کعبی، اسعد، ۱۳۴۹ - ، مترجم

رده بندی کنگره : BP۲۲۶/۶ /ر۳ت۹۰۴۳ ۱۳۹۲

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۴

شماره کتابشناسی ملی : ۳۰۲۰۶۷۸

ص: ۱

## اشاره

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

## كلمه المعهد

من الأمور البـديهيه اتّخاذ الواسـطه أو الوسـيله عنـد الب-شـر لأجل الحصول على أهداف ماديه أو معنويه، وقد أشار المولى تبارك و تعالى فى القرآن الكريم إلى أنواع من الوسائط الماديه والمعنويه، وبالخصوص المعنويه منها، حيث أمر باتّخاذ الوسيله إليه، قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَهَ (المائده:۳۵

ثمّ إنّ أفضل الوسائل لغفران الـذنوب، التوسّل بالرسول الأكرم محمّد۹، قال تعالى: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً (النساء:۶۴)

ولقد توسّل المسلمون على مرِّ التأريخ الإسلامى بذات الله

ص: ۶

المقـدّسه إلی أن ظهر ابـن تیمیـه الحرانی الحنبلی فی القرن الثـامن، وتبعـه محمّـد بـن عبـدالوهاب فی القرن الثـانی عش-ر، و حرّما التوسّـل، وقالا- إنّ التوسّـل بالأنبیاء والأولیاء معارض للتوحیـد، وبَـدَءا یهاجمان المسـلمین علی هـذا العمل، ولکن فی المقابل عارض المفکرون والمحققون والعلماء المسلمون هذه الفکره علمیاً وثقافیاً، فبیّنوا مفهوم ومعنی التوسّل وعدم معارضته للتوحید.

عزیزی القـارئ، هـذا الکـتیب الماثـل بین یـدیک قـام بتـدوینه المحقق المحترم والأسـتاذ الجلیـل حسـین رجبی (زیـدعزّه) حول هـذا الموضوع باللغه الفارسیه، ثمّ قام بتعریبه الأخ الفاضل العزیز أسعد الکعبی (دام توفیقه) .

وأخیراً یتقدّم معهد الحج والزیاره بجزیل الشـکر والامتنان للجهود المضنیه التی بذلها المؤلّف العزیز والمترجم الفاضل، ولجمیع الذین ساهموا فی إنجاز هذا الأثر القیّم، راجیاً من المولی العلی القدیر للجمیع قبول الأعمال والتوفیق للطاعه.

إنّه ولی التوفیق

معهد الحج و الزیاره

قسم المعارف والکلام

ص: ۷

## المقدمه

يتناول هـذا الكُتيّب دراسه مفهوم (التوسّل) ، الـذى يُعتبر أحد المصـطلحات القرآنيّه: (وَ ابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِـيلَهَ) (المائده: ۳۵) ، و قد دُوّن بشكلٍ موجز، وبطريقهٍ استدلاليّهٍ، اعتماداً على القرآن الكريم والأحاديث المعتبره وآراء فطاحل علماء المسلمين، خاصّهً أهل السُنّه.

لقـد حرّرنا هـذا البحث المقتضب والأمل يحـدونا لأن يكون سـبباً لترسـيخ المودّه بين أبناء أُمّه محمّـدٍ (ص) ، ونرجو أن يقطع الطريق على المتصيِّدين فى المـاء العكر، الـذين لا همَّ لهم سوى خلق الفتن والترويـج للخلافات بين أبناء الـدين الواحـد؛ إذ سوف نتناول فيه الآراء الصحيحه لأتباع كِلا المذهبين، ومن ثَمَّ

ص: ۸

سنوضّح ما یشوب التوسّل من ملابساتٍ وما یدور حوله من استفساراتٍ هامّه.

ص: ۹

## ما هو التوسل؟ وما هى طبيعه الصله بينه وبين التوحيد؟

### اشاره

التوسّل يعنى اتّخاذ شيءٍ واسطةً (وسيلةً) للوصول إلى هدفٍ محدّدٍ عادةً ما يسعى الإنسان لتحقيقه.

والوسيله تارةً تكون حسّ-يّةً وأُخرى تكون معنويّةً، وتارةً تكون إنساناً وأُخرى ليست بإنسانٍ، وتارةً تكون الله تعالى وأُخرى الأعمال الصالحه، مثل: الصلاه والصوم وسائر الأعمال الحسنه، وفى بعض الأحيان تكون الوسيله بقوّه الإراده وبإبراز المحبّه والمودّه أو ما شابه ذلك؛ إذ حسب عقيدتنا التوحيديّه، فإنّ البارئ جلّ وعلا قد خلق العالم وأتحفه بشتّى الوسائل والعلل التكوينيّه والتشريعيّه؛ لذلك يكون الاعتقاد بالوسائط للوصول

ص: ۱۰

إلى الهدف جزءاً من هذه العقيده، ولا ينفكّ عنها قطعاً، كما أنّ إنكار هذه الوسائط مُنافٍ للتوحيد الحقيقى.

فالإنسان الموحّد يعتقد أنّ المؤثّر فى العالم وخالقه واحدٌ، وسائر الوسائط وإن كانت مؤثّرةً لكنّها غير مستقلّةٍ، وإنّما اكتسبت تأثيرها من هذا الخالق العظيم، مثل: الارتواء بالماء والشبع بالغذاء والتداوى عند الطبيب. وبالطبع، فإنّ الموحِّد لا يعتقد بالتأثير المستقلّ للوسائط، ولا يعتبرها كائنةً فى مصافّ الله تعالى؛ إذ هذا الاعتقاد ينافى التوحيد، وفى نفس الوقت فإنّ إنكار هذه الوسائط وغضّ النظر عنها يتنافى مع التوحيد أيضاً.

## تفصيل الموضوع

إنّ أىّ إنسانٍ يواجه شاكل ومصاعب فى حياته، ويميل بطبعه إلى البحث عن مأوىً يلجأ إليه للتخلّص من ذلك العبء الذى يثقل كاهله، وذلك من خلال بيان مشاكله ل-مَن لجأ إليه، حيث ستصبح نفسيّته بحالٍ أفضل.

فمن جهةٍ، كلّما تقدم الزمان فإنّ المشاكل الروحيه والنفسيه والمادّيه تزداد على الإنسان، فيزداد عنده الشعور بضروره اللجوء

ص: ۱۱

للأُمور الروحيّه شيئاً فشيئاً، وهذا الأمر هو الذى جعل للتوسّل مكانةً خاصّةً عند البشر.

وهـذا الملجأ بطبيعه الحال يختلف باختلاف عقائـد الناس، فأحياناً يكون إنساناً مثلهم، وأحياناً يكون صـنماً أو طاغيةً، وأحياناً يلتجِؤون إلى مـدبّر الأُمـور جلّ شأنه. ومن المؤكّـد أنّ العقلاء لا يلتجؤون لأىّ شـىءٍ كان، بل يجعلون مَأواهم وملتجأهم مَن بيـده زمام الأُمور، فالعقل يُدرك أنّ المخلوق الضعيف الذى لا ينفع نفسه كيف يمكنه أن يحلّ مشاكل الآخرين؟ !

ومن جههٍ أُخرى، فـإنّ كـافّه البش-ر يتمتّعون بنفس القـدره والمسـتوى، باسـتثناء الـذين أنعم الله تعالى عليهم بقـدرهٍ خاصّهٍ، ومنحهم مكـانةً رفيعةً امتـازوا بهـا عن سـائر البش-ر، فـإنّ هؤلاـء لم ينـالوا هـذه الكرامه إلّا بعـد خلـوص التيّه وكمـال العبوديّه، ومن ثمّ صـار باسـتطاعتهم حلّ مشاكل الآخرين المادّيه والروحيّه بإذن الله وبفيضٍ منه تعالى. فهؤلاء الأشخاص قد جعلهم الله تعالى واسطةً بينه وبين خلقه؛ إذ إنّه جلّ شأنه تارةً يبعثهم كأنبياء يحملون على عاتقهم مسؤوليّه هدايه الناس، فيخرجونهم من

ص: ۱۲

الظلمـات إلى النور، بلطفٍ ربّانى ووحيٍ سـماوىٍّ، وتارةً يجعلهم واسـطةً لطلب المغفره والتقرّب إليه؛ وبالتأكيـد فإنّه لا يليق بالتصـدّى لهاذين المقامين أىّ شـخصٍ كان، بل لا ينالهما إلّا مَن سـمَت نفسه وعَلَت همّته، كما قال العزيز الحكيم فى قرآنه الكريم: (وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَس-ى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً) (الإسراء: ۷۹) . فأىّ مقامٍ هو (المقام المحمود) هذا؟

من الواضح أنّ هذا المقام هو مكانةٌ معنويّةٌ رفيعةٌ أساسها القرب من الله تعالى، ولا ينالها أىّ مخلوقٍ كان.

وقـال عزّ وجلّ فى آيهٍ أُخرى: (وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضـى) (الضـحى: ۵ فالأنبيـاء والأئمه (ع) لم ينالوا حقّ الشـفاعه وحقّ الولايه وحقّ الطـاعه، وسـائر الحقوق المعنويّه، إلّـا بعـد أن منحهم الله تعالى المقام السامى عنـده، ولولا ذلك لما كان لأحـدٍ على الآخر حقٌّ، وعليه فقـد اتّخـذ الله عزّ وجلّ عـدداً من خاصّه خلقه، وجعلهم وسائط لإيصال وحيه وهـدايه الناس، وبالأخصّ إيصال رساله التوحيـد، التى تُعتبر الدعامه الأساسيّه للدين.

إذن، الاعتقاد بسموِّ مقام النبىّ (ص) والتوسّل بمقامه عند الله لا يتنافى مع عقيده التوحيد، ولا يتعارض مع كون الله تعالى هو

ص: ۱۳

المرجع وال-مُلتَجأ الحقيقى عند النوائب؛ لأنّ هذا المقام هو نعمةٌ وهبةٌ من الله، وهو (عزّ شأنه) لا يهبه إلّا ل-مَن كان أهلاً له.

لا شك أنّ التوحيد الصادق هو الاعتقاد بأنْ لا ملجأ ولا مأوى إلّا الله تعالى (لا إلهَ إلّا الله) ، ولكن بما أنّه (عزّ وجلّ) مُنزّهٌ عن التجسيم والصفات المادّيه، فلا بدّ من وسائط مادّيهٍ تقوم بإرشاد الناس وحلّ مشاكلهم، فلا يمكن أن يتجسّم الله تعالى للناس ويحكم بينهم بشكلٍ مباشرٍ، بل يختار منهم فرداً أو أفراداً ذوى صفاتٍ حميدهٍ وخصالٍ تؤهّلهم لهذا الأمر، ليمنحهم المقام المحمود، ومن ثَمَّ يكونوا خلفاءه فى الأرض، ويحكموا بما ألهمهم من خلال الوحى.

ول-مّا كان العبد مكلّفاً بالانصياع والطاعه لهذه الأحكام، فالاعتقاد بحكومه خليفه الله، الذى هو واسطةٌ بينه وبين خالقه، يُعتبر أمراً ضروريّاً لا- مناص منه، وهذا هو التوحيد الحقّ، على خلاف ما اعتقده الخوارج، أى: عدم قبول حكم أىّ حاكمٍ سوى الله تعالى؛ مستندين إلى الآيه المباركه: (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (الأنعام:۵۷) ؛ إذ قالوا: لا توجد أيّه واسطهٍ فى الحكم بين الله وبين خلقه، فعلّق الإمام علىّ (ع) على احتجاجهم الزائف هذا قائلاً:

ص: ۱۴

«كلمهُ حقٍّ يُرادُ بها باطلٌ» (۱).

واستخدام الخوارج لهذا الشعار – فى الحقيقه – ناشئٌ عن فهمٍ خاطئٍ لمعنى الآيه الكريمه؛ إذ ليس من شأن الله تعالى أن يتصدّى لمنصب الحكم بشكلٍ مباشرٍ، بل لا بدّ وأن يختار خليفه لائقاً ينوب عنه.

ويمكننا القول: إنّ أوّل انحرافٍ فى عقيده التوحيد عند المسلمين قد ابتُلى به الخوارج؛ لأنّ التوحيد الصحيح يستلزم قبول الوسائط التى نصّبها الله علينا، وليس نفيها.

فقد اعتبر الله سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم أنّ طاعتَه عبادهٌ، وأنّ اتّباع وإطاعه مَن سواه شركٌ، كما جاء فى الآيه الكريمه: (يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ) (مريم: ۴۴) ، ومن الواضح إنّ عباده الشيطان هنا تعنى إطاعته واتّباعه. وعلى العكس من هذا، فإنّه تعالى اعتبر فى آيهٍ أُخرى، أنّ إطاعه الرسول (ص) وأُولى الأمر هى طاعه له.

إذن، اعتبر البارئ جلّ وعلا أنّ إطاعه الوسائط هى توحيدٌ صحيحٌ، وعصيانها شركٌ، فقال: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ

---

۱- نهج البلاغه، الخطبه رقم ۴۰.

ص: ۱۵

أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ) . (النساء: ۵۹)

فالنتیجه: إنّ کلّ ولایهٍ وطاعهٍ أمرَنا الله بها، تنصبُ فی طاعته تعالی وتُعتبر توحیداً صحیحاً دون أدنی شکٍّ، وکلّ طاعهٍ علی خلاف طاعه الله تعالی ورسوله وأُولی الأمر تُعتبر شرکاً (فی الطاعه) . هذه الطاعه سواء أکانت للشیطان، أم لامرئٍ لم یُنصّبه الله تعالی، أم لأهواء النفس، أم لغیر ذلک، هی باطلهٌ؛ لذلک فالواسطه، سواء أکانت فی الحُکم أم فی الولایه، وسواء أکانت فی إیصال الرزق، أم فی أیّ شیءٍ آخر، إذا کانت بإذنٍ منه تعالی فالاعتقاد بها توحیدٌ، وإلّا فإنّ الاعتقاد بها شرکٌ.

ص: ۱۶

ص: ۱۷

## الوسائط فی عال--َمی التکوین والتشریع

إنّ الوسائط تارةً یکون لها وجودٌ خارجیٌّ فی عالم التکوین، وأُخری تکون فی عالم التش-ریع ونقل أحکام الدین والوحی؛ فالملائکه هم وسائطٌ بین الله تعالی وبین عباده فی عالمی التکوین والتش-ریع، مثلاً- فی قبض الأرواح قال تعالی: (حَتَّی إِذا جاءَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا) (الأنعام: ۶۱) ، وکذلک هم وسائطٌ فی إیصال الرزق للناس.

وکان بعض الأنبیاء أیضاً مؤثّرین فی عالم التکوین - بإذن الله تعالی - کما هو الحال بالنسبه للنبیّ عیسی (ع) : (وَ أُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْیِ الْمَوْتی بِإِذْنِ اللهِ ) (آل عمران: ۴۹) . فأنبیاء الله هم وسائطٌ، مُهمّتهم إیصال الوحی وتعالیم الدین للبش--ر، وإنکار

ص: ۱۸

هذه الوسائط فی التکوین والتشریع یُعتبر مخالفاً لما جاء فی القرآن الکریم. فالتوحید الصادق هو أن یقبل الموحِّد کلّ شیءٍ أقرّه دین الله تعالی ویعتبره توحیداً، ویرفض کلّ ما سواه ویعتبره شرکاً.

ومن الجدیر بالذکر أنّ الاعتقاد بالوسائط، حسب مبادئ التوحید الصادق، لا یستلزم الشرک مطلقاً؛ لأنّ هذه الوسائط لا تتمتّع باستقلالٍ بذاتها، وکلّ ما لدیها هو من الله تعالی؛ إذ لا یُنظر إلیها کوجودٍ مستقلٍّ دون مؤثّرٍ، فلو اعتُبرت مستقّلةً فی التأثیر، لأصبح الاعتقاد بها شرکاً، حتّی وإن کانت هذه الواسطه هی النبیّ محمّد (ص) .

وقد نفی أتباع بعض المذاهب أیَّ نوعٍ من الوسائط استناداً لهذه النظره الأخیره، واعتبروها شرکاً، ولکن حسب ما ذکرنا من تفاصیل، یتّضح أنّ الفهم الذی تمخّض عنه رأی هؤلاء، هو فی الحقیقه خاطئٌ ومخالفٌ للقرآن الکریم ولسنّه الرسول (ص) والأئمه (ع) وسیرتهم؛ لأنّ القرآن الکریم خصّ بالش-رک کافّه الذین ترکوا عباده الله قبل الإسلام، واتّخذوا لأنفسهم آلهةً - مثل الأصنام التی صنعوها بأیدیهم - وجعلوها وسائط بینهم وبین الله، وقاموا بعبادتها، حیث إنّهم اختاروا وسائط لا نفع لها و

ص: ۱۹

لا ضرر، دون إذنٍ من الله تعالی.

لذا، فإنّ ادّعاء البعض بکون أفعال وعقائد المسلمین، باحترام وإجلال مراقد الرسول وأهل بیته وصحابته وسائر أولیاء الله تعالی، شِرکاً، أو فی بعض الأحیان یُقارنوها مع أفعال مشرکی صدر الإسلام، هو ادّعاءٌ باطلٌ، ومقارنتهم هذه لا وجه لها، ولا یقتنع بها أیّ عاقلٍ؛ لأنّ کلّ مسلم لا یعبد أحداً سوی الله تعالی، وإنّما یزور أضرحه أنبیاء وأولیاء الله حبّاً بهم واحتراماً لهم؛ إذ وهبهم ربّ العالمین مقاماً محموداً ومکانهً رفیعهً، وکرّمهم بالشفاعه لسائر خلقه، فیقصدهم الخلق طلباً لحلّ المشاکل، من خلال وساطتهم إلی الله تعالی.

أفهل یُعتبر طلبُ العباد حلّ مشاکلهم من أشخاصٍ رفعهم الله تعالی مقاماً محموداً وأذِن لهم بذلک، شرکاً؟ !

فی الحقیقه لیس هناک مسلمٌ یعتقد أنّ هذا الفعل یُنافی التوحید الخالص، إذ کما أنّ صحابه الرسول (ص) وأتباعه کانوا یجعلونه واسطهً بینهم وبین الله تعالی عندما کان حیّاً، فبعد رحیله یمکن أن نجعله واسطهً أیضاً، وإنکار هذا الأمر لا دلیل علیه.

ومن الواضح أنّ الإنسان عندما یرید أن یحصل علی منزلهٍ عالیهٍ

ص: ۲۰

وقربٍ من الله تعالی، علیه أن ینال ذلک بواسطه أعماله الصالحه وعقائده الصحیحه، فالأعمال الصالحه تتجلّی فی الصلاه والصوم والحجّ وسائر العبادات، التی من شأنها أن تقرّبه إلی خالقه، وکذلک فتوحیده الخالص وتصدیقه بنبوّه الرسول (ص) ، ومحبّته لأهل البیت (ع) ، هی أُمورٌ لها تأثیرٌ بالغٌ فی تقرّبه إلی الله تعالی.

ومن الأعمال التی لها دَورٌ مشهودٌ فی التقرّب إلی الله، المواظبه علی الدعاء وطلب المراد منه تعالی، ولا شکَّ فإنّ مجرّد التوسّل بغیر الله لا یُعتبر شرکاً، بل التوسّل الذی یُعتبر شرکاً هو ما کان دون إذنٍ من الله، أو رجاء شخصٍ بموازاته تعالی، والاعتقاد بتأثیره المستقلّ، وإلّا فإنّ جمیع المسلمین یطلبون العون من غیر الله تعالی عند الشدائد المادّیه والنفسیّه، ولا أحد یستطیع القول: إنّهم مشرکون.

رُویَ عن رسول الله (ص) قوله: «مَن أصبح لا یهتمُّ بأُمور المسلمین فلیس منهم، ومَن سمع رجلاً ینادی" یا لَلمسلمین "فلم یُجبه فلیس بمسلمٍ» (۱). أَلا یُعتبر طلب الغوث والمدد من المسلمین

---

۱- اصول الکافی، ج۲، ص۱۶۴.

ص: ۲۱

طلباً من غیر الله تعالی؟ ! وهل أنّ الطلب من المیّت شرکٌ؟ ! فلماذا یُعتبر الطلب من المیّت شرکاً؟ وما هو المعیار فی کون الطلب من المیّت شرکاً؟ هل أنّه شرکٌ لأنّ الإنسان عند فناء جسده المادّی یصبح عاجزاً عن إدراک شیءٍ؟ أو لأنّه اتّخذ واسطةً غیر الله تعالی فیکون فعله شرکاً؟

من المؤکّد أنّ الإنسان لا یفنی بموته، ولا یوجد مسلمٌ یعتقد بهذا الشیء، بل إنّ صریح القرآن والأحادیث یؤکّد أنّ الإنسان بعد موته یبدأ حیاةً جدیدةً، ویصبح إدراکه للأُمور أکثر من الأحیاء.

فهل یمکن القول: إنّ الأموات لا یسمعون کلامنا؟ ! أفَلا تنصّ الأحادیث التی یرویها المحدّثون - شیعةً وسنّةً - علی استحباب السلام علی أهل القبور عند زیارتها؛ لأنّ أهلها یسمعون سلامنا؟ ! أَلا نُسلّم علی النبیّ (ص) کلّ یومٍ فی صلواتنا؟ ! أَلم یُخاطب رسولُ الله (ص) قتلی المشرکین فی حرب بدرٍ قائلاً: ذوقوا الآن ما کنتم تُنکرون؟ ! أَلم یُجب رسول الله (ص) الذین سألوه هل أنّ الموتی یفهمون؟ قائلاً: نعم، إنّهم یفهمون أفضل منکم؟ ! (۱)

---

۱- مجمع الزوائد، ج۶، ص۹۱، بیروت، دار الکتب العلمیه.

ص: ۲۲

أَلم یذکر القرآن الکریم أنّ الشـهداء أحیاءٌ عند ربّهم یُرزقون؟ ! فهل یا تُری أنّ مقام الأنبیاء والأئمه عند الله أدنی من مقام الشـهداء؟ ! أَلا توصل الملائکه سلامنا إلی النبیّ والأئمه؟ !

فی الحقیقه إنّ الموتی، وخـاصّهً الأنبیـاء والأئـمه (ع) ، یُـدرکون الأُمور فی عالم البرزخ أکثر من الأحیاء، بل إنّهم یُحیطون بها بشـکلٍ أوسعَ بلطفٍ وکرامهٍ من الله سبحانه وتعالی.

أَوَ لیس الأنبیاء والأولیاء فی عالم البرزخ یدعون الله تعالی؟ ! أَلا یستطیع الأنبیاء والأئمه أن یدعوا لأُمّتهم فی عالم البرزخ؟ !

فإنّ کلّ مسـلم یؤمن بمنزله الرسول والأئمه عند الله تعالی، وعنده یقینٌ بالحیاه بعد الموت، سوف یکون جوابه: (نعم، إنّهم یسـتطیعون أن یدعوا لأُمّتهم) . فهل أنّ مناجاه هؤلاء الصـلحاء یُعتبر شرکاً؟ ! فإذا کانت مناجاتهم وهم أموات شرکاً، فمناجاتهم عندما کانوا أحیاءً شرکٌ أیضاً؛ لأنّ الذین توسّلوا بهم آنذاک قد اتّخذوا غیرَ الله واسطهً لأنفسهم! فی الوقت الذی لایدّعی فیه أحدٌ أنّ هذا الفعل شرکٌ؛ إذ الش-رک هو التوسّل بحیٍّ أو بغیر حیّ بشکلٍ مستقلٍّ وفی موازاه الله تعالی.

إذن، لیس المعیار فی الشرک هو الموت أو الحیاه، بل المعیار فیه

ص: ۲۳

اتّخاذ الإنسان معبوداً یلتجئ إلیه إلی جانب الله تعالی؛ لذا، لا یجوز الاتّکاء علی الذوق فی تعیین مصداق الش-رک ونسبته إلی شخصٍ أو طائفهٍ ما، بل لا بدّ من الاعتماد علی معیارٍ صحیحٍ، وهو الاستناد إلی الآیات والروایات التی لا شکّ فیها ولا خللٍ، وکذلک الأخذ بنظر الاعتبار أعمال المسلمین، التی هی قطعاً تطابق التوحید وتخالف الشرک.

فإذا ادّعی شخصٌ: أنّ معیار الشرک هو اتّخاذ واسطهٍ، وبما أنّکم جعلتم النبیّ (ص) والأئمه (ع) وسائط، فقد أشرکتم.

نقول: إنّ جواب هذا الادّعاء قد تمّ توضیحه فیما سبق، وقلنا: إنّ مجرّد اتّخاذ واسطهٍ لیس بش-رکٍ، فالله تعالی قد جعل الأنبیاء وسائط بینه وبین خلقه، لذلک إذا کانت الواسطه بحدّ ذاتها شرکاً، فهذا النوع من الشرک قد أمر الله تعالی به، فالوسائط إنّما تکون شرکاً عندما تُتَّخذ دون إذنٍ من الله تعالی، ویجعلها العبد آلهةً.

ومن العجیب أنّ البعض یرفضون التوسّل جملهً وتفصیلاً! ولکن ما هو دلیلهم علی رفض الواسطه بین الله تعالی وبین خلقه؟ ففی النظام الکونی الذی نحن فیه، هل نری شیئاً غیر

ص: ۲۴

الوسائط؟ ! إذ إنّ أصل النظام الکونی مُبتنٍ علی الأسباب والمسبّبات؛ أَلیس الأنبیاء وسائط بین الله وبین عباده؟ ! أَلیس ملائکه الحیاه والموت هم وسائط بین الله وبین الخلق؟ ! أَلیس العوامل الطبیعیّه وغیرها وسائط؟ ! أَلیس الطبیب هو واسطه لشفاء المرضی؟ ! أَلیس الماء واسطه لرفع العطش، والطعام واسطه لرفع الجوع؟ ! أَلیس الشمس واسطه لتزویدنا بالنور، والنار واسطه للإحراق؟ ! وما إلی ذلک الکثیر.

إذن، من وجهه نظر الإنسان الموحّد، واستناداً لحقیقه التوحید الصادق، فإنّ الوسائط لیست إلّا وسائل خلقها الله تعالی، وجعل علی عاتق کلّ واحدٍ منها مهمّهً أو مهمّاتٍ تؤدّیها بإذنه.

والآیات المبارکه من قبیل: (فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) (الجن: ۱۸) لا تدلّ علی إنکار هذه الوسائط البتّه، بل تشیر إلی أنّ المؤثّر الوحید فی الکون هو الله تعالی، ولیس هناک مؤثر مستقلٌّ حقیقیٌّ غیره. وإن اعتقدت أیّها الإنسان بوجود مؤثّرٍ مستقلٍ غیره تعالی فأنت مشرکٌ؛ لأنّ اعتقادک هذا ینافی التوحید.

فالإنسان الموحّد لا یعتبر الوسائط مستقلّهً، بل یری أنّ الأثر

ص: ۲۵

الناشـئ عنهـا هو بإذنٍ من الخالق البارئ، کما کان عیسـی (ع) یُحیی الموتی، وکما یعالـج الطبیب المرضـی، وکما یرفع الماء العطش، بإذنٍ منه تعالی.

فـالکعبه الم-شـرّفه، والحجر الأـسود، والسـعی بین الصـفا والمروه، وکـلّ ما فی مکّه، تنال احترام وتقـدیس المسـلمین؛ إذ إنّهم یولّون وجوههم نحو الکعبه فی صـلواتهم ودعائهم، فمن المؤکّـد أنّ معبودهم لیس الحجر والتراب الـذی بُنی منه بیت الله الحرام، أو المکان الـذی یتّجهون نحوه؛ لأنّ هـذا المکان وما فیه لیس سوی علاماتٍ وآیاتٍ یتّخـذوها ذریعهً للتقرّب من الله تعالی، کما هو الحال عنـدما سجد الملائکه لآدم.

لـذلک، عنـدما یکون الحجر أو المکان علامهً علی تقرّب العبـد لربّه، وواسـطهً لـذلک، أَوَلیس من الأولی حینها أن یکون رسول هذا الربّ، وموفده إلی عباده، علامهً وواسطهً للتقرّب إلیه تعالی؟ !

إذن، فلا ضـیرَ من اتّخاذ واسـطه، سواء أَکانت إنساناً أم دعاءً أم عملاً، ولا فرق فی کون هذا الإنسان حیّاً أو میّتاً. ولکن إن اعتقد العبد باستقلال هذه الوسائط فی التأثیر بذاتها، فالأمر

ص: ۲۶

حینها یصبح مختلفاً، ویتحوّل إلی شرکٍ. فالاعتقاد بأنّ الله تعالی قد خلقها لقضاء حوائجنا، وأنعم بها علینا، کوسائط نستفیض منها فحسب، لا ینافی التوحید بوجهٍ، والتوسّل بالقرآن وبأسماء الله وبالصلاه وبالحجّ هو عین التوحید؛ لأنّه استجابه لأمر الخالق الواحد الأحد، وهذا التوسّل هو السبیل الذی یجب علینا أن نسلکه لنکون موحّدین؛ وبالتالی فالتوسّل بالقرآن الناطق وبأسماء الله فی الأرض، أی: محمّد وعلیّ وذرّیتهما، الذین هم أطهر عباد الله فی الأرض ومرآه العمل الصالح، هو التوحید الخالص بکلّ معنی الکلمه، وإنکار هذا التوسّل واعتباره باطلاً، هو عین الشرک ونقضٌ للتوحید، بل إنّه انحرافٌ فکریٌّ وزللٌ عقائدیٌ.

ونکرّر ما ذکرناه سابقاً ونقول: إنّ معیار الشرک هو الاعتقاد بمخلوقٍ وتقدیسه، باعتباره فی مصافّ الله تعالی وموازاته، وإلّا فسوف لا نجد موحّداً علی وجه الأرض البتّه، وحتّی الذین یدّعون أنّ الاعتقاد بکلّ واسطهٍ هو شرکٌ، سوف یکونون مشرکین قطعاً حینها؛ لأنّهم یعتقدون بالوسائط کما أشرنا إلیه أعلاه.

ص: ۲۷

من الجدیر بالذکر أنّنا نلاحظ الیوم تیّاراً فکریّاً بین أهل السنّه، یتمثّل بأشخاصٍ یُخالفون سیره العظام من أسلافهم وعلمائهم، حیث یقومون بنش-ر کُتبٍ یتعرّضون فیها للزیاره والتوسّل، بینما الحقیقه هی أنّ علماء أهل السنّه قد وقفوا بوجه أمثال هؤلاء، بل اعتبروا التوسّل أمراً جائزاً ولا ینافی الشرع.

ولکی تتّضح الصوره لک عزیزی القارئ بشکلٍ أفضل، نوثّق المسأله ببعض أقوال علماء أهل السنّه، فیتبیّن حینها تضادّ آرائهم مع ما یدّعیه المشکّکون، ونترک الحکم لک، قال تعالی فی کتابه الکریم: (. . . فَبَشِّ-رْ عِبادِ * الَّذِینَ یَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَیَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) (الزمر:۱۷و۱۸) .

ص: ۲۸

ص: ۲۹

## التوسل من وجهه نظر مفكّرى الشيعه والسنه

### اشاره

وجهه نظر علماء الشيعه بالنسبه للتوسّل واضحهٌ؛ إذ إنّهم يجوّزون ذلك دون خلافٍ، بشرط أن يكون التوحيد خالصاً من كلّ شائبهٍ، ولا ـ ينسب فيه العبد للمُتوَسَّل به تأثيراً مستقلاً عن الله تعالى. وعلماء إخواننا السنّه على هذا الرأى أيضاً، بالرغم من أنّ صانعى الفِتن والمصفّقين للخلافات بين المسلمين - خاصّهً الوهّابيّين - قد جنّدوا كافّه طاقاتهم ليجعلوا ما اتّفق عليه الفريقان أمراً مُختَلَفاً فيه. ومن أجل أن تتّضح هذه الحقائق، سوف نسلّط الضوء على مجموعهٍ من آراء علماء أهل السنّه

فيما يلى.

ص: ۳۰

## آراء علماء قريتى ديوبند وبريله الهنديّتين

ينقسم مسلمو شبه القارّه الهنديّه عقائديّاً إلى فرقتين أساسيّتين، وكلاهما من أتباع المذهب الحنفى، وهما:

۱- الفرقه الديوبنديّه.

۲- الفرقه البريلويّه.

سُمّيت الفرقه الثّانيه بهذا الاسم نسبةً إلى قريه (بريله) فى الهند، وقد أسّسها وتزعّمها المولى (أحمد رضا خان) ، وأُطلق على أتباعها اسم (البريلويّين) .

وأمّا الفرقه الأُولى فقد سُمّيت بهذا الاسم نسبةً إلى قريه (ديوبند) فى الهند أيضاً، حيث تأسّست فيها (دار العلوم الإسلاميّه) ، وأُطلق على أتباعها اسم (الديوبنديّين) .

كانت هاتان الفرقتان فى بادئ الأمر متقاربتين إلى حدٍّ ما، ولكن بمرور الزمان نشأت بينهما اختلافاتٌ عقائديّهٌ عديدهٌ، وتفاقمت للحدّ الذى وصل فيه الحال اليوم إلى أنّ الديوبنديّين يعتبرون البريلويّين مش-ركين، والبريلويّون بدروهم يعتبرون الديوبنديّين وهّابيّين، إذ تدور بينهم نقاشات محتدمه.

وأمّا بالنسبه لانتشار الفرقه الديوبنديّه، فيجدر بنا القول: إنّ

ص: ۳۱

أغلب علماء أهل السنّه فى باكستان والهند وإيران هم من أتباع هذه الفرقه.

ونشير هنا إلى بعض عقائد البريلويّين، مثل: الاعتقاد بعلم الغيب، كون رسول الله (ص) هو مفتاح الغيب، كونه (ص) حاضراً وشاهداً، كونه (ص) نوراً، طلب الفيض من أولياء الله الصالحين، الطواف بقبور أولياء الله الصالحين، وغير ذلك.

بعد انتشار الفكر الوهّابى فى بلاد الحجاز، امتدّ نفوذ الوهّابيّين إلى بعض البلدان الإسلاميّه، ومن ضمنها شبه القارّه الهنديّه. فعندما أُسقط حكم الأشراف وأُخرجوا من الحرمين - بمساندهٍ من العثمانيّين والوهّابيّين - كتب أحمد رضا خان رسالهً إلى علماء الحرمين - آنذاك - ليُطلعهم فيها على أنّ الديوبنديّين فى الحقيقه وهّابيّون، حيث ذكر فيها سبعين مؤاخذهً عليهم، وأفتى بكفرهم.

ورداً على هذه الرساله، بعث الديوبنديّون إلى علماء الحرمين رسالهً اعتبروا فيها كلام أحمد رضا خان افتراءً، وادّعَوا أنّهم من أتباع مذهب الشيخ الأعظم ومن مقلّديه، وليسوا بوهّابيّين، وأجابوا على سته وعشرين سؤالاً عقائديّاً، فأيّد علماء الحرمين

ص: ۳۲

هذه الرساله. وقد طُبعت هذه الرساله تحت عنوان (المهنَّد على المفنِّد) .

ويُعتبر كتاب (المهنَّد على المفنِّد) من أفضل الكتابات العقائـديّه عند أهل السـنّه؛ إذ يُبيّن آراءهم ومعتقداتهم بشـكلٍ واضحٍ وصـريحٍ. فالجـدل والنزاع الذى حصل بين هاتين الفرقتين، قد كان سـبباً لأن يقوم كلٌّ منهما ببيان وجهات نظره العقائديّه والبراءه علناً من الفكر الوهّابى. ويمكن الاطّلاع على تفاصـيل آراء وعقائـد هاتين الفرقتين فى هـذا الكتاب ل-مَن أراد المزيد، كما أنّ أحد علماء السـنّه فى مدينه (جابهار) ترجم هذا الكتاب إلى اللّغه الفارسيّه.

## مُقتطفات من كتاب المهنَّد على المفنِّد

جواباً على السؤال الذى يقول: هل يجوز التوسّل برسول الله (ص) بعد وفاته عند الدّعاء؟ جاء فى هذا الكتاب ما يلى:

عندنا وعند مشايخنا، يجوز التوسّل فى الدعوات بالأنبياء والصالحين من الأولياء والشهداء والصِّدّيقين، فى حياتهم

ص: ۳۳

وبعد وفاتهم، بأنْ يقول فی دعائه: اللّهُم إنّی أتوسّل إليك بفلان أنْ تُجيب دعوَتی، وتقضی حاجتی، إلی غير ذلك. كما صرّح به شيخنا ومولانا الشاه محمّد إسحاق الدهلوی، وبيّنه فی فتاواه شيخنا ومولانا رشيد أحمد الكنكوهی. . . . وهذا الرأی قد ذُكر فی بعض الروايات أيضاً.

ولا نری بأساً من أن نُشير إلی بعض عقائد أهل السنّه، التی تمّ بيانها بشكلٍ واضحٍ فی هذا الكتاب، كما يلی:

۱- تُعتبر زياره قبر رسول الله (ص) من أعظم درجات التقرّب إلی الله تعالی، وأكثر الأعمال ثواباً، للدرجه التی يمكن القول: إنّها قريبه من الواجب؛ لذلك فإنّ مَن قصد المدينه المنوّره لزياره قبر رسول الله (ص) دون أیّ دافعٍ آخر، يستحقّ شفاعته (صلوات الله عليه) ، فقد قال الرسول (ص) فی حقّه: «مَن جاءنی زائراً ليس له حاجةٌ إلّا زيارتی، كان حقّاً عَلَیَّ أنْ أكونَ له شفيعاً يومَ القيامه» . (۱)

---

۱- أخرجه الحافظ أبو علی سعيد بن عثمان بن السكن البغدادی، المتوفی بمصر سنه ۳۵۳هفی كتابه (السُنن الصِّحاح) ؛ المعجم الكبير، ج۱۲، ص۲۲۵، ح۱۳۱۴۹؛ مجمع الزوائد، ج۴، ص۲؛ الصلات والبشر، ص۱۴۲؛ الدرّ المنثور، ج۱، ص۵۶۹؛ كنز العمّال، ج۱۲، ص۲۵۶ ح۳۴۹۲۸.

ص: ۳۴

۲- إنّ الأرض التى تحتضن جسد رسول الله (ص) هى الأفضل على الإطلاق، حتّى أنّها أفضل من العرش والكرسى.

۳- يجوز للعبد أن يقف أمام قبر الرسول (ص) ويقول: يا رسول الله، اشفع لى. أو يقول: أتوسّل بك لأموت مسلماً.

۴- روى أبو هريره عن رسول الله (ص) قوله: إنّ النبىّ عيسى (ع) ينزل من السماء، ويؤدّى مناسك الحجّ، ويأتى قبرى ويسلّم علىَّ وأنا أردّ السلام عليه. ومن الطبيعى أنّه لا يمكن ردّ السلام إلّا عندما يسمعه ال-مُجيب، فيُجيب عليه.

۵- جميع الأنبياء أحياء فى قبورهم بأجسادهم المادّيه كما كانوا فى عالم الدنيا، ويقومون بأداء عباداتهم كالصلاه والصيام؛ لذلك قال البعض بعدم جواز تقسيم تركاتهم، وبعدم صحّه الزواج من نسائهم بعد موتهم.

ويرى علماء ومشايخ أهل السنّه أفضليه الوقوف أمام وجه رسول الله (ص) المبارك عند الزياره والدعاء.

۶- نُقل عن فطاحل علماء الديوبنديّه أنّ رسول الله۹ حىٌّ فى قبره، وهو يسمع السلام عن قربٍ وعن بُعدٍ، إذ تنقل له الملائكه سلام مَن كان بعيداً عنه، وكذلك فإنّ أعمال أُمّته تُعرض عليه

ص: ۳۵

بواسطه الملائكه.

وما نسمعه اليوم من كون السلام والصلاه على روح النبيّ (ص) لا يصل إليه، هو خلاف إجماع الأُمّه. (۱)

## أقوال بعض علماء السُنّه

قال نور الدين السمهودى:

إنّ طلب العون والشفاعه من النبيّ، أو التوسّل إلى الله بجاه النبيّ وشخصه جائزٌ، قبل أنْ يولد وبعد ولادته ووفاته، وفى عالم البرزخ وفى يوم القيامه. (۲)

قال الدكتور عبد الملك السعدى:

إذا قلت: اللّهم إنّى توسّلتُ إليكَ بجاهِ فلان، لنبيٍّ أو صالحٍ، فهذا أيضاً ممّا ينبغى أن لا يحصلَ بجوازه خلافٌ؛ لأنّ الجاهَ ليس له ذات ال-مُتوسَّل به، بل مكانتُه ومرتبتُه عند الله، وهى حصيله الأعمال الصالحه؛ لأنّ الله تعالى قال عن موسى (عليه الصلاه والسلام) : (وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً) (الأحزاب: ۶۹) .

---

۱- كتاب المهنَّد على المفنِّد.

۲- وفاء الوفاء، ج۴، ص۱۳۷۲.

ص: ۳۶

قال القسطلانی: حریٌّ بزائر رسول الله أن یُکثر من الزیاره والدعاء والتض-رّع والاستغاثه، وطلب الشفاعه والتوسّل بذات رسول الله (ص) المقدّسه. (۱)

ویقول الزرقانی فی شرح هذا الکلام: «یجب التوسّل بالنبیّ؛ لأنّ التوسّل به یُزیل جبالاً من الذنوب» .

وقال ابن الحاج أبو عبید الله العبدری المالکی:

فإنْ کانَ المیِّتُ ال-مُزارُ مِمَّن تُرجی بَرکتُهُ، فَیُتوَسَّلُ إلی الله تعالی بهِ، وکَذلک یَتوسَّلُ الزَّائرُ بِمَنْ یَراهُ المیِّتُ مِمَّنْ تُرجی بَرکتُهُ إلَی النبیِّ صلّی اللهُ علیهِ وسلَّمَ، بل یبدأ بالتَّوسُّلِ إلی الله تعالی بالنبیِّ صلّی اللهُ علیه وسلَّمَ، إذْ هو العُمدَه فی التَّوسُّلِ. (۲)

قال الحسن بن علیّ السقّاف الشافعی:

إنّ التوسّل والاستغاثه وطلب الشفاعه من سیّد الخلق محمّد النبیّ ونور الظلمات، من المستحبّات التی أُکّد علیها بشدّه، خاصّهً عند الضیق. وکانت سیره العلماء العاملین والأولیاء المتهجّدین وکبار المحدّثین وأئمه السلف علی هذا.

---

۱- البدعه فی مفهومها الإسلامی، ص۴۵.

۲- المدخل، ج۱، ص۲۵۴.

ص: ۳۷

كما أنّ النوويّ ذكر استحباب التوسّل فی بعض كتبه. (۱)

ودوّن الغماری فی مقدّمه كتابه ما یلی: «إنّ استحباب التوسّل فی المذهب الشافعی والمذاهب الأُخری (الحنبلیّه والحنفیّه والمالكیّه) هو مقبولٌ» . (۲)

كما نقل ابن حجر المكّی بیتین من أشعار الشافعی التی یتوسّل فیها بأهل بیت النبیّ (ع) :

آلُ النبیّ ذریعتی

وذكر زینی دحلان: مَن تتبّع أذكار السلف وأدعیتهم وأورادهم، یجد فیها الكثیر من التوسّل بالذوات المقدّسه، ولم یعترض علیهم أحدٌ، إلی أن جاء المنكرون (الوهّابیّون) .

وإذا أردنا جمع نماذج من التوسّل، فیجب علینا أن نؤلّف

---

۱- حاشیه الإیضاح علی المناسك، ص ۴۵۰ و ۴۹۸؛ شرح المهذّب (المجموع) ، ج۸، ص۲۷۴؛ شرح الأذكار، باب أذكار الحجّ، ص۳۰۷.

۲- الغماری، مقدّمه إرغام المبتدع الغبیّ بجواز التوسّل بالنبیّ.

ص: ۳۸

کتاباً عظیماً. (۱)

وقال العلّامه الأمینی فی التوسّل:

وأمّا الاستغاثه والنداء والانقطاع وما أشار إلیها، فلا تعدو أن تکون توسّلاً بهم إلی المولی سبحانه، واتّخاذهم وسائل إلی نجاح طلباتهم عنده جلّت عظمتُه؛ لقربهم منه، وزلفتهم إلیه، ومکانتهم عنده؛ لأنّهم عبادٌ مکرمون، لا لأنَّ لذواتهم القدسیّه دخلاً فی إنجاح المقاصد أوّلاً وبالـذّات، لکنّهم مجاری الفیض وحلقات الوصل، ووسائطٌ بین المولی وعبیده [کما هو الشأن فی کلّ متقرّب من عظیم یُتوسّل به إلیه]، وهـذا حکمٌ عـامٌّ للأولیـاء والصـالحین جمیعاً، وإنْ کانوا متفاوتین فی مراحل القرب، کلّ هـذا مع العقیـده الثابته بأنّه لا مؤثّر فی الوجود إلّا الله سبحانه، ولا تقع فی المشاهد المقدّسه کلّها من وفود الزائرین إلّا ما ذکرناه من التوسّل، فأین هذه من مضاده التوحید؟ ! (۲).

---

۱- زینی دحلان، الدرر السنیّه، ص۳۱.

۲- الغدیر، ج۳، ص۴۰۳.

ص: ۳۹

## التوسل بالنبی (ص) فی حیاته البرزخیه

إنّ عقیده المسلمین تجوّز بل ترجّح التوسّل بالنبیّ وهو فی حیاته البرزخیّه. ولکنّ الوهّابیّین یخالفون هذه العقیده، ویدّعون حرمه وعدم جواز ذلک!

لقد استند الوهّابیّون فی رأیهم هذا، ومعظم آرائهم الأُخری، علی أفکار ابن تیمیّه، الذی یُعتبر من أبرز المخالفین للتوسّل، فهو یقول فی التوسّل:

طلب الدعاء من الغیر، حیاً کان أو میّتاً، وإنْ قلتَ: هذا إذا دعا الله أجاب دعاءَه أعظم ممّا یجیبه إذا دعوته، فهذا هو القسم الثّانی، وهو أن لا تطلب منه الفعل ولا تدعوه، ولکن تطلب أن یدعو لک کما تقول للحیّ: ادع لی، وکما کان الصحابه

ص: ۴۰

رضوان الله علیهم یطلبون من النبیّ (ص) الـدعاء، فهـذا مشـروع فی الحیّ کمـا تقـدّم، وأمّا المیّت من الأنبیاء والصالحین وغیرهم، فلم یُشـرَّع لنـا أن نقول: ادع لنـا، ولاـ اسـأل لنا ربَّک، ولم یفعل هـذا أحـدٌ من الصّحابه والتّابعین، ولا أمر به أحـدٌ من الأئمه، ولا ورد فیه حدیثٍ. (۱)

فی الحقیقه أنّ ما وضّحناه سابقاً یبیّن بطلان هذا الرأی وعدم صوابه؛ إذ إنّ الروایات وحتّی الآیات تشیر إلی جواز التوسّل وصحّته بعد الموت، وکنّا قد ذکرنا بعض الأقوال فی هذا المضمار، وسنشیر هنا إلی بعض الآیات والروایات:

۱- قال تعالی: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِیماً. (النساء: ۶۴)

۲- ذکر الله تعـالی فی کتـابه الکریم کیف توسّـل أبناء یعقوب بأبیهم لکی یسـتغفر لهم بسـبب ما ارتکبوه من إثم، إذ قال: قالُوا یا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا کُنَّا خاطِئِینَ) (یوسف: ۹۷) . فقد خاطب أُخوه یوسف أباهم ب- (یا) النداء، لذلک فإنّ رأی مَن یقول بعدم

---

۱- زیاره القبور، صص۲۴ - ۲۵.

ص: ۴۱

جواز دعاء غیر الله، هو کلامٌ مردودٌ.

إضـافهً لـذلک، فقـد جعلوا أبـاهم واسـطهً بینهم وبین الله عزّ وجلّ، ولو کان اتّخاذ الواسـطه ممنوعاً، لتوجّب علی النبیّ یعقوب (ع) أن یردعهم عن فعل ذلک، وأن یطلب منهم دعاء الله وطلب المغفره منه دون واسطه؛ کما یفعله الیوم بعض الوهّابیّین ومَن تأثّر بأفکارهم!

قـد یـدّعی البعض أنّ هذه الآیه تدلّ علی جواز التوسّل فی زمان رسولنا الکریم (ص) دون زماننا، ولکنّ هذا الادّعاء عارٍ عن الصـحّه؛ إذ لا دلیل علیه؛ لأنّه یمکن أن یسـری إلی جمیع الآیات، حتّی تلک التی تشـمل الأحکام والعقائـد، أی: أنّ محتواها حسب هذا الرأی سیکون مرتبطاً بعهد الرسول فحسب، ولا یمکن تعمیمه لسائر العهود، والحقیقه أنّه لا یمکن لأحدٍ ادّعاء هذا الأمر مطلقاً.

إضافهً إلی ذلک، فما هو الدلیل الذی یمکن الاعتماد علیه لإثبات هذا ال-مُدّعی؟ فیا تُری، هل توجد لدینا آیات أو روایات تشیر إلی جواز التوسّل بالحیّ وعدم جوازه بالمیّت؟ وهل أنّ معیار الشرک والتوحید یکمن فی جواز التوسّل وعدمه؟ أو أنّ

ص: ۴۲

معیارهما هو کون ال-مُتَوسَل به حیّاً أو میّتاً؟ فإذا کان هذا هو المعیار الحقیقی، سیکون التوسّل بالحیّ فی جمیع الأحوال صحیحاً ولا شائبه فیه، حتّی إذا اعتُبِر هذا الحیّ مستقلاً وفی مصافّ الله تعالی، فی الوقت الذی لا یؤمن أیّ مسلمٍ بهذه العقیده الباطله، بل یعتبرها جمیع المسلمین أنّها شرکٌ صریح.

علاوه علی هذا فبعد إتمام الاستدلال وبیان القصد، سوف یکون بالإمکان تعمیم صحّه التوسّل حتّی بعد وفاه ال-مُتَوَسَّل بهم؛ إذ إنّ الإنسان فی کلّ زمانٍ وفی جمیع الأحوال یمکن أن یرتکب المعاصی، لذا فهو یحتاج إلی وسیلهٍ یجعلها واسطهً لطلب المغفره من الله عزّ وجلّ.

ومن هذا ال-مُنطَلق، فإنّ الصحابه کانوا یسألون الرسول (ص) بعد وفاته أن یستغفر الله لهم، تمسّکاً بفحوی هذه الآیه المبارکه. وهذا الأمر من شأنه أن یُثبت لنا حقیقه الحیاه البرزخیّه، والصله الموجوده بینها وبین الحیاه الدنیا.

یذکُر البیهقی وابن أبی شیبه ما یلی:

أصاب الناسَ قحطٌ فی زمن عمر، فجاء الصحابی بلال بن الحرث إلی قبر النبیّ (ص) ، فقال: یا رسول الله، استسقِ

ص: ۴۳

لأُمّتک، فإنّهم قد هلکوا. فأتی رسولُ الله الرجلَ فی المنام، فقال له: إنّکم مسقیّون. (۱)

وقال الإمام علیّ (ع) :

إنّ رجلًا دخل المدینه بعد وفاه رسول الله۹ بثلاثه أیّام ورمی بنفسه علی قبره ومسح بالتراب علی رأسه، وقال: یا رسول الله، إنّک قلت عن الله ونحن سمعنا قولک وأطعناه، ومن قولک الآیه التی نزلت علیک: (وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ) (النساء: ۶۴) ؛ فقد ظلمت نفس-ی وجئتک تستغفر لی. فجاءه نداء من داخل القبر: قد غُفِر لک. (۲)

أدلّه علی جواز التوسّل

إضافهً لما ذکرنا من أدلّهٍ علی صحّه التوسّل، فلا نری بأساً من أن نذکر أدلّهً أُخری تؤیّد ذلک:

---

۱- زینی دحلان، الدّرر السنیه، ص ۱۸.

۲- الروض الفائق، ص ۳۸۰؛ وفاء الوفاء، ج ۴، ص ۱۳۹۹؛ المواهب اللدنیّه، ج ۴، ص۵۸۳؛ صالح الأخوان، ص ۵۴۰؛ مشارق الأنوار، ج۱، ص ۱۲۱.

ص: ۴۴

۱- کتب العلاّمه السمهودی:

بعـد أن دفن رسول الله (ص) فاطمه بنت أسـد، قال: الله الـذی یُحیی ویُمیت. . . اغفر لأُمّی فاطمه بنت أسد، ووسّع علیها مدخلها، بحقّ نبیّک والأنبیاء الذین من قبلی. (۱)فقـد دعا رسول الله (ص) لهذه السیّده العفیفه لأنّها کانت رؤوفةً به فی أیّام طفولته، فردّ لها الجمیل باحترامٍ وتقدیرٍ، ونزّلها منزله أُمّه.

۲- نقل محدّثا أهل السنّه المعروفان (الترمذی وابن ماجه) عن عثمان بن حُنیف قوله:

إنَّ رجُلاً ضَرِیرَ البصَرِ أتی النبیَّ (ص) ، فقالَ: ادْعُ اللهَ أنْ یُعافِیَنی.

قَالَ (ص) : إنْ شِئْتَ دَعَوتُ، وإنْ شِئتَ صَبَرتَ، فَهُوَ خَیرٌ لکَ.

قالَ: فَادعُهُ.

فأمَرَهُ أنْ یتوضَّأ فیُحْسِنَ وضُوءَهُ، ویـدعُوَ بهـذا الـدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إنِّی أسألُـکَ وأتوجَّهُ إلیکَ بنبیِّکَ محمَّدٍ نبیَّ الرَّحمهِ، إنِّی توجَّهتُ بکَ إلی ربِّی فی حاجتی هذه لتُقضـَی لی، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِیَّ. (۲)

---

۱- وفاء الوفاء، ج ۳، ص ۸۸۹.

۲- سنن الترمذی، کتاب الدعوات، الباب ۱۱۸؛ سنن ابن ماجه، کتاب إقامه الصلاه والسنّه، الباب ۱۸۹.

ص: ۴۵

نستلهم من هذه الروایه أنّ التوسّل برسول الله (ص) وطلب العون منه لیس مشروعاً فحسب، بل مستحبٌّ، ولا یختصّ فی زمان حیاته.

ولو کان التوسّل غیر جائزٍ، لما سمح به صلوات الله علیه، ولنهی عنه، ولرُبّما اعترض علی هذا الرجل الضریر وقال له: لماذا جئتنی؟ ! اذهب وادعُ ربّک دون أن تجعلنی واسطهً فی دعائک؛ لأنّک إن طلبت من غیر الله شیئاً، فأنت مشرکٌ!

ولکنّ الحقیقه أنّ النبیّ (ص) لم ینهر الرجل عن التوسّل به أبداً، بل علّمه کیفیّه التوسّل، ودون شکٍّ فإنّ هذا التوسّل الوارد عن النبیّ (ص) - لسان الغیب ومعلّم الشریعه - جائزٌ بعد وفاته أیضاً؛ إذ لا دلیل علی عدم جوازه سوی التعصّب، والجهل بحقیقه التوحید الخالص.

۳- روی الطبرانی فی المعجم الکبیر حدیثاً صحیح السند عن عثمان بن حُنیف، وهو:

إنّ رجلاً کان یختلفُ إلی عثمان بن عفّان فی حاجهٍ له، فکان عثمان لا یلتفت إلیه ولا ینظُر فی حاجته، فلقیَ ابنَ حُنیف فشکا ذلک إلیه، فقال له عثمان بن حُنیف: ائت المیضأه

ص: ۴۶

فتوضّـأ، ثُمّ ائت المسـجد فصـلِّ فيه ركعتين، ثُمّ قُل: «اللّهم إنّى أسألُك وأتوجّه إليك بنبيّنا محمّـدٍ (ص) ، نبىّ الرحمه، يا محمّـد إنّى أتوجّه بـك إلى ربّى فتقض-ى لى حـاجتى» ، وتـذكُر حاجتَـك. ورُح حتّى أروح معك. فانطلق الرجل فصـنع ما قال له، ثُمّ أتى باب عثمـان بن عفّـان، فجـاء البوّاب حتّى أخـذ بيـده فـأدخله على عثمـان بن عفـان، فأجلسه معه على الطنفسه، فقال: [ما] حاجتك؟ فـذكر حـاجته، وقضاهـا له، ثُمّ قـال له: مـا ذكرتَ حاجتك حتّى كان الساعهُ، وقال: ما كانت لك من حاجهٍ فاذكرها، ثُمَّ إنّ الرجل خرج من عنده، فلقى عثمان ابن حُنيف فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلىّ حتّى كلّمتَه فِىَّ.

فقـال عثمان بن حُنيف: واللهِ ما كلّمتُه، ولكنّى شـهدتُ رسولَ الله (ص) ، وأتاه ضـريرٌ فشـكا إليه ذهاب بص-ره، فقال له النبىّ (ص) : فتصبر، فقال: يا رسول الله، ليس لى قائدٌ وقد شُقَّ علَىَّ، فقال النبىّ (ص) : ائت الميضأه فتوضأ، ثُمّ صلّ ركعتين، ثُمّ ادع بهذه الدعوات. قال ابن حُنيف: فو الله، ما تفرّقنا

ص: ۴۷

وطال بنا الحدیث، حتّی دخل علینا الرجل کأن لم یکن به ضرٌّ قطٌّ.

نقل هذا الحدیث جمعٌ غفیرٌ من علماء أهل السنّه، من بینهم: الحاکم النیسابوری (۱)، ابن عبد البرّ (۲)، أبو نعیم الاصفهانی (۳)، الذهبی (۴)، الحافظ الهیثمی (۵)، المتّقی الهندی (۶)وغیرهم.

۴- روی الحاکم النیسابوری فی المستدرک:

ل-مّا اقترف آدم الخطیئه، قال: یا ربِّ، أسألُک بحقِّ محمّدٍ لما غفرتَ لی.

فقال الله: یا آدم، وکیف عرفتَ محمّداً ولم أخلقه؟

قال: یا ربِّ، لأنّکَ ل-مّا خلقتنی بیدک، ونفخت فِیَّ مِن روحِک، رفعتُ رأسی، فرأیتُ علی قوائم العرش مکتوباً: لا إله إلّا الله،

---

۱- المستدرک علی الصحیحین، ج ۳، ص ۱۰۸.

۲- الإصابه، ج ۴، ص ۳۸۲.

۳- حلیه الأولیاء، ج ۳، ص ۱۲۱.

۴- سِیَر أعلام النُبلاء، ج ۲، ص ۱۱۸، رقم ۷.

۵- مجمع الزوائد، ج ۹، ص ۲۵۶.

۶- کنز العمّال، ج ۱۳، ص ۶۳۶، ج ۸، ص ۳۷۶.

ص: ۴۸

محمّدٌ رسولُ الله، فعلمتُ أنّک لم تضف إلی اسمک إلّا أحبّ الخلق إلیک.

فقال الله: صدقتَ یا آدم، إنّه لأحبّ الخلق إلیّ. ادعنی بحقّه، فقد غفرتُ لک، ولولا محمّد ما خلقتک. (۱)

۵- روی أحمد بن حنبل أنّ مسروقاً قال لعائشه:

أُقسم علیک بصاحب هذا القبر إلّا ما أخبرتنی بما قاله رسول الله عن الخوارج، فقالت عائشه: سمعت رسول الله یقول: «إنّهم شرّ الخلقِ والخلیقهِ، یقتلُهم خیرُ الخلقِ والخلیقهِ، وأقربُهم عندَ اللهِ وسیلهً» . (۲)

۶- نقل الدارمی فی سُنَنهِ عن أبی الجوزاء، أوس بن عبد الله، ما یلی:

قُحِطَ أَهْلُ المَدینهِ قَحطاً شدیداً، فَشَکوا إلی عائِشهَ، فقالتْ: انظُرُوا قبْرَ النبیِّ (ص) ، فَاجْعَلُوا مِنْهُ کِوىً إلی السَّماءِ، حتَّی لا یکونَ بَیْنَهُ وبَیْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ، قال: فَفَعَلُوا؛ فَمُطِرْنَا مَطَراً

---

۱- المستدرک علی الصحیحین، ج ۲، ص ۶۱۵.

۲- مسند أحمد، ج ۱، ص ۱۴۰.

ص: ۴۹

حتَّی نَبَتَ العُشْبُ، وَسَمِنَتِ الإِبِلُ حتَّی تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ، فَسُمِّیَ عَامَ الْفَتْقِ. (۱)

بما أنّ (سعید بن زید) هو أحد رجال هذا الحدیث، فإنّه لا یتّفق مع عقیده (الألبانی) ؛ لذلک حاول تضعیفه، بینما نلاحظ أنّ سعید هذا یُعتبر من رجال (صحیح مسلم) الموثّقین، کما وثّقه یحیی بن معین، کذلک وثّقه البخاری وابن سعد والعجلی وأبو زرعه وأبو جعفر الدارمی، وعددٌ کبیرٌ من علماء أهل السنّه. (۲)

۷- ذکر القسطلانی أنّ رجلاً وقف قرب قبر رسول الله (ص) وقال:

إلهی، قد أمرتنا بعتق العبید، وهذا حبیبُک وأنا عبدُک، فأسألُک بحقّ نبیّک أن تعتقنی من نار جهنّم، فجاءه هاتفٌ: یا رجل، لماذا طلبت العتق من جهنّم لنفسک فقط ولم تطلبه لجمیع المؤمنین؟ ! اذهب فقد عُتِقت. (۳)

---

۱- سنن الدارمی، ج ۱، ص ۴۳.

۲- تهذیب التهذیب، ج ۴، ص ۲۹.

۳- المواهب اللدنیّه، القسطلانی، ج ۴، ص ۵۸۴.

ص: ۵۰

ص: ۵۱

## المنع من التوسل، بدعةُ أُمويه

نقل الحاكم النيسابورى بإسناده عن داود بن أبى صالح أنّه قال:

أقبلَ مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر – قبر رسول الله –، فأخذَ برقبته، وقال: أتدرى ما تصنع؟ !

قال: نعم.

فأقبل عليه، فإذا هو أبو أيّوب الأنصارى.

فقال: جئتُ رسولَ الله (ص) ولم آتِ الحجرَ، سمعتُ رسولَ الله (ص) يقول: لا تبكوا على الدّين إذا وليه أهلُه، ولكن ابكوا عليه إذا وليَهُ غيرُ أهلِه. (۱)

---

۱- المستدرك على الصحيحين، ج۴، ص۵۶۰، الحديث ۸۵۷۱؛ شفاء السقام، ص۱۵۲؛ وفاء الوفاء، ج۴، صص۱۳۵۳ و۱۴۰۴؛ مجمع الزوائد، ج۴، ص۲.

ص: ۵۲

إنّ مـا ذُكر سابقـاً، ليس سوى جانبٍ من الآيات والروايات، ومُقتضبٍ من أقوال بعض فطاحل علماء أهل السـنّه فيما يخصّ (التوسّل) ، إذ إنّها حُججٌ على أتباع جميع المذاهب الإسلاميّه، وأدلّةٌ بيّنهٌ على جواز التوسّل، وإنْ تنصّل البعض من هذه الحقائق الدامغه ورفضوها عناداً.

وممّـا لاـ ريب فيه أنّ الشـارع المقـدّس لو كـان قـد صـرّح بعـدم جواز التوسّـل بـالميّت بنصٍّ شـرعيٍّ، لالتزمنا بحكمه، ولم نتجرّأ على مخالفته، ولكنّ الواقع خلاف ذلك؛ إذ إنّ الشارع لم ينهَ عنه مطلقاً، بل إنّه قد جوّزه كما مرّ.

لو تصوّرنا أنّ الـذين أنكروا التوسّل بأرواح الأنبياء والأئمه (ع) ، واقفون أمام الله تعالى فى يوم الحساب، وقـد سألهم عن دليلهم الـذى اعتمدوا عليه من الآيات والروايات فيما ادّعَوه، فهل باستطاعتهم الجواب؟ !

إذن من الضـرورى أن نجعل القرآن الكريم والسـنّه النبويّه وآراء فطاحل العلماء معايير نستند عليها، فى معرفه صحّه أو سقم عقيدهٍ ما، وفى نفس الوقت، فإنّ الذين لا إلمام دقيق لديهم

ص: ۵۳

بهـذه الأُمور، لا يجـدر بهم أن يخوضوا غمار هذه الأبحاث الدقيقه؛ لأنّ الانحراف فيها ذو نتائج سـلبيّهٍ لا تُحمد عُقباها، ويتوجّب على الباحثين من أهل السـنّه أن لا يخلطوا بين معتقـدات بعض المذاهب، وبين معتقدات الآخرين وآرائهم الفقهيّه، كما يتوجّب على علماء أهل السـنّه ومفكّريهم، المطّلعين على المبانى الحقيقيّه لمذهبهم، أن لا يسـمحوا للّذين لا اطّلاع لهم ولا معرفه دقيقه بمبادئ المذهب، أن يتدخّلوا فى القضايا الدينيّه الهامّه، فقد قال الفقيه الحنفى (ابن عابدين) : لا يمكن لعالمٍ مفكّرٍ أو مجتهدٍ أن يكفّر مسلماً.

ص: ۵۴

ص: ۵۵

## أسئله تنتظر الرد من منكرى التوسل

### اشاره

إذا كنتم تعتقدون أنّ التوسّل فعلٌ غير شرعيٍّ، أو بدعةٌ أو شركٌ، فيجب عليكم حينها أن تُقرّوا بما يلى، وتجيبوا على الأسئله التاليه:

١- أن تعتبروا الكثير من الرعيل الأوّل لعلماء أهل السـنّه، الـذين أرسَوا دعائم المذهب، بأنّهم مش-ركين؛ كونهم جوّزوا التوسّل، فهل تُقرّون بذلك؟ !

٢- أن تعتبروا الصـحابه الذين كانوا يتوسّلون بالرسول (ص) مش-ركين! أَوَلم يتوسّل أبو أيّوب الأنصارى بقبر الرسول (ص) ؟ ! أَوَلم يتوسّل عمر بن الخطّاب بعمّ الرسول (ص) ؟ !

٣- إذا كان التوسّل شركاً، لماذا جاء فى القرآن الكريم أنّ أبناء

ص: ۵۶

يعقوب توسّلوا بأبيهم، وجعلوه واسطةً ليغفر الله ذنوبَهم؟ ! إذن، حسب رأيكم، فإنّ القرآن قد أمر ب- (الشرك) - والعياذ بالله -!

۴- إذا كان التوسّل شركاً، لماذا لم ينهَر رسولُ الله (ص) المذنبين الذين كانوا يتوسّلون به؟ ! ولماذا لم يطلب منهم أن يتوسّلوا بالله تعالى مباشرةً دون اللجوء إليه؟ !

۵- إذا كان التوسّل شركاً، لماذا التجأَ الصحابى بلال بن الحرث إلى مرقد رسول الله (ص) وطلب منه الاستسقاء، ولم يدع الله دون الاعتماد على الرسول (ص) ؟ !

۶- إذا كان التوسّل غير جائزٍ، لماذا أقسم رسول الله (ص) على ربّ العالمين بحقّ أنبيائه السابقين، وبحقّ نبوّته، أن يغفر لفاطمه بنت أسد عندما دفنها؟ !

۷- إذا كان التوسّل بدعةً، لماذا سمح رسول الله (ص) للرجل الض-ريرَ بالتوسّل به كى يُبصرَ؟ ! فالحقيقه - وكما تعلمون - أنّ رسول الله (ص) لم يردعه، بل علّمه دعاءً يتوسّل فيه بذاته الطاهره، ويطلب شفاعته من الله تعالى، كما مرّ سابقاً.

۸- إذا كان التوسّل شركاً، لماذا توسّل أبو البشر آدم (ع) بنبيّنا الكريم قبل خلقته، طلباً لمغفره الله؟ !

ص: ۵۷

۹- إذا كان التوسّل غير جائزٍ، لماذا طلبت عائشه من الناس أن يتوجّهوا لمرقد رسول الله (ص) ويتوسّلوا به، عندما جاؤوها يشكون من القحط الذى حلّ بهم؟ !

۱۰- إذا كان التوسّل شركاً، لماذا توسّل بعض عظماء علماء أهل السنّه بمرقد الإمام الرضا (ع) ؟ ! كابن حبّان الذى قال: عندما تنتابنى مشكله، أتوجّه إلى مرقد الإمام الرضا (ع) ، وأدعو الله أن يرفعها عنّى، وكلّ ما فعلت ذلك، قُضيَت حاجتى. (۱)

۱۱- إذا كان التوسّل شركاً، فكيف يجوّزه فطاحل علماء المذاهب الإسلاميّه ويوصون به؟ ! كما أسلفنا فى هذا البحث.

۱۲- إذا كان مجرّد التوسّل وطلب العون من غير الله تعالى شركاً، فهل بإمكاننا أن نجد موحّداً على وجه البسيطه؟ ! فكلّ إنسانٍ فى هذا العالَم له حاجات لا يستطيع نيلها بنفسه، إذ إنّه يحتاج إلى غيره للحصول عليها، وبالتأكيد فإنّ طلب العون من غير الله تعالى والتوسّل به فى هذه الحاله لا يُعتبر شركاً؛ لكن حسب رأيكم هو شركٌ!

---

۱- الثقات، ج۸، ص۴۵۷، حيدر آباد، مؤسسه الكتب الثقافيه.

ص: ۵۸

۱۳- إذا كان التوسّل واتّخاذ واسطةٍ شركاً، فلا يوجد فيه فرقٌ بين الحيّ والميّت، لأنّ المعيار فى التوحيد والشرك هو الاعتقاد بكون المتوسَّل به ذا تأثيرٍ مستقلٍّ أو غير مستقلٍّ، بالنسبه لله تعالى، ولا عبره بكونه حيّاً أو ميّتاً، فهل لديكم رأىٌ فى هذا المجال؟ ! فمن وجهه نظر التوحيد الخالص، أنّ الإنسان لا يَفنى بعد الموت، بل على العكس من ذلك، فهو فى الحياه البرزخيّه يكون أكثر إدراكاً للحقائق.

يقول الإمام الغزالى: «مَن كان يُقصد لطلب المدد فى حياته، فبالإمكان طلب المدد منه بعد وفاته» .

۱۴- إذا كنتم تعتبرون إجلال وتقديس مراقد الأنبياء والأئمه (ع) ، والتعبير عن المحبّه لهم شركاً وعبادةً لغير الله تعالى، فحينها يكون إجلال وتقديس الوالدين، والأُستاذ، ومَن لهم حقٌّ فى رقابنا، شركاً كذلك! أَليس هذا ما يترتّب على رأيكم؟ !

قال تعالى فى كتابه الحكيم: (وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَهِ) . (الإسراء:۲۴) إذن، يتّضح لنا أنّ الإجلال والتقديس للآخرين ليس بشركٍ، ولا يوجد مسلمٌ يؤمن بهذا الرأى؛ لأنّه لو كان شركاً، لمَا أمر به عزّ وجلّ.

ص: ۵۹

۱۵- إذا کان التوسّل غیر جائزٍ، لماذا توسّل الإمام الشافعی بأهل البیت (ع) ؟ !

۱۶- إذا کان التوسّل شرکاً، لماذا توسّل الإمام الشافعی بقبر أبی حنیفه؟ !

ذکر ابن حجر أنّ الإمام الشافعی عندما کان فی بغداد، کان یقصد ضریح أبی حنیفه ویزوره، ثُمّ یتوسّل به لقضاء حوائجه. (۱)

۱۷- هل یا تُری أنّ عدم العلم بکیفیّه التوسّل یکون وازعاً لإنکاره ونقضه جملهً وتفصیلاً؟ !

## فالتوسّل فی الحقیقه علی عدّه أقسامٍ:

أ - نتوسّل بالله تعالی بحقّ أنبیائه وأولیائه الصالحین أن یُعیننا.

ب - نتوسّل بالأنبیاء وبالأولیاء الصالحین أن یُعینونا بفضل مکانتهم وقُربهم من الله جلّ شأنه.

ج - نتوسّل بالأنبیاء وبالأولیاء الصالحین أن یحلّوا مشاکلنا.

أمّا بالنسبه للفقرتین الأُولی والثّانیه، فلا یوجد أدنی شکٍّ فی مطابقتهما للتوحید وعدم التعارض معه، ومَن یُنکرهما إمّا

---

۱- شواهد الحقّ، ص ۲۴.

ص: ۶۰

مُغرضٌ، وإمّا جاهلٌ.

وأمّا بالنسبه للفقره الثّالثه، ففیها وجهان:

الأوّل: إن اعتقد المتوسِّل أنّ الأنبیاء والأولیاء الصالحین مستقلّون بالتأثیر إلی جانب الله تعالی، فهو قطعاً شرکٌ ومنهیٌّ عنه.

الثّانی: إن اعتقد المتوسِّل أنّ الله تعالی قد کرّم أنبیاءه وأولیاءه الصالحین بمنزلٍ رفیعهٍ، وأذِن لهم بالشفاعه وقضاء حوائج الناس، فلا یختلف هذا الأمر عن الفقرتین ألف وباء، ولا یتعارض مع التوحید بوجهٍ.

إذن، التوسّل - وکما أسلفنا - یکون باطلاً فی حالهٍ واحدهٍ، وهی الاعتقاد باستقلال المتوسَّل به بالتأثیر. ولکن یا ترُی، هل من الصحیح أن ننفی کلّ أشکال التوسّل ونبطلها، من أجل بطلان قسمٍ واحدٍ، ونعتبره شرکاً دون مبرّرٍ مُعتبرٍ؟ ! وهل أنّ مجرّد عدم العلم بحقیقه التوسّل، یصحّ أن یکون سبباً لنقض أمرٍ روحیٍّ یحتلّ مکانهً مرموقهً بین عقائد المسلمین، وخاصّهً الشباب الذین هم بأمسّ الحاجه للأُمور الروحیّه والمعنویّه، التی من شأنها أن تصونهم من الانجرار وراء الانحرافات التی تُهدّد

ص: ۶۱

مجتمعاتنا قاطبةً؟ !

۱۸- لقد صرّح رسول الله (ص) أنّ «الأعمال بالنیّاتِ» (۱). فهل یا تُری باستطاعه شخص أن یحمل عمل مسلمٍ علی الکفر لمجرّد عدم علمه بنیّته؟ ! أَلم یوصینا دیننا بحمل عمل المسلم علی الصحّه؟ ! أو أنّ رأیکم خلاف هذا؟ !

۱۹- إذا کان التوسّل والاستعانه بغیر الله تعالی شرکاً أو بدعهً، لماذا لم یرفض النبیّ موسی (ع) طلب قومه عندما توسّلوا به وجعلوه واسطهً بینهم وبین الله؟ ! فلو کان التوسّل شرکاً، لقال لهم موسی (ع) لقد أشرکتم فی طلبکم هذا! فقد قال تعالی فی کتابه الحکیم: (وَ لَمَّا وَقَعَ عَلَیْهِمُ الرِّجْزُ قالُوا یا مُوسَی ادْعُ لَنا رَبَّکَ بِما عَهِدَ عِنْدَکَ لَئِنْ کَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَکَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَکَ بَنِی إِسْرائِیلَ) . (الأعراف: ۱۳۴)

إذن، یتّضح لنا أنّ طلبهم من نبیّ الله لا یتعارض مع التوحید، ولا یُستَشمّ منه الشرک مطلقاً؛ لأنّ نبیّهم جاءهم بعهدٍ من ربّه القدیر، مُتمثّلٍ برساله التوحید التی جعلته نبیّاً ولیّاً من

---

۱- صحیح بخاری، ج۱، ص۲.

ص: ۶۲

الصالحین، فتوسّلوا به لرفع الکَرب والبلاء عنهم. وهذا بالفعل ما طلبه بنو إسرائیل منه، إذ توسّلوا به، وجعلوه واسطةً بینهم وبین الله لکی یُستجاب دعاؤهم بفضله ومنزلته.

لذلک، إنْ حلّ بلاءٌ بشخصٍ ما، فلا یمکن لأحدٍ أن یُزیله عنه سوی الله تعالی، أو مَن عهد له بنبوّةٍ أو ولایةٍ خصّه بها.

۲۰- إذا کان التوسّل والاستغاثه بغیر الله تعالی شرکاً، لماذا کان أتباع موسی (ع) یتوسّلون به دائماً عندما تحلّ بهم النوائب؟ ! فقد کان النبیّ موسی (ع) یتمتّع بقدرةٍ عظیمةٍ وشجاعةٍ خصّه الله تعالی بها، لذلک عندما رأی رجلاً من أنصاره یتشاجر مع عدوّه، لم یتردّد فی نصرته عندما استغاث به، وأعانه، حتّی أنّه قتل عدوّه، حیث ذُکرت هذه القصّه فی القرآن الکریم: (فَاسْتَغاثَهُ الَّذِی مِنْ شِیعَتِهِ عَلَی الَّذِی مِنْ عَدُوِّهِ فَوَکَزَهُ مُوسی فَقَضی عَلَیْهِ) . (القصص: ۱۵)

۲۱- یدّعی الوهّابیّون أنّ خاتم الأنبیاء (ص) لا یسمع کلامنا بعد وفاته!

إذا کان الحال حقّاً کما یدّعون، فلماذا تُسلّمون علیه بعد التشهّد فی کلّ صلاه، وتقولون: (السّلامُ علیکَ أیّها النبیُّ ورحمهُ اللهِ وبرکاتُه) ؟ !

ص: ۶۳

۲۲- إذا کان الأموات لا یسـمعون کلامنا، فما فائده السلام علیهم، حسب ما ذکرت الروایات؟ ! فقد ذکر مسلم فی صحیحه: أنّ رسول الله (ص) طلب من عائشه أن تستغفر لأهل البقیع، وتقول: «السلامُ علی أهلِ الدیارِ من المؤمنینَ والمسلمینَ، ویرحمُ اللهُ المستقدمینَ منَّا والمستأخرینَ، وإنّا إن شاءَ اللهُ بکُم للاحقونَ» . (۱)

۲۳- إنّکم عندما تُصرّون علی أنّ المیّت لا یسمع شیئاً بعد الموت، ألا تُخالفون صریح الروایات التی جاءت فی صحیح البخاری وغیره من کتب الحدیث؟ ! فمن هذه الروایات أنّ الرسول (ص) قال: «إنّ المیّت یسمع خفقَ النعال» . (۲)

۲۴- إذا کان الأموات لا یسـمعون شیئاً، لماذا خاطب رسول الله (ص) قتلی المشرکین فی موقعه (بدر) ؟ ! قائلاً: هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَکُمْ رَبُّکُمْ حَقًّا؟ !

قَالَ مُوسَی: قَالَ نَافِعٌ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: قَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: یَا

---

۱- صحیح مسلم، ج ۲، ص ۶۶۹، باب ما یقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.

۲- صحیح البخاری، کتاب الجنائز، باب المیّت یسمع خفق النعال.

ص: ۶۴

رَسُولَ الله، تُنَادِی نَاساً أَمْوَاتاً؟ ! قَالَ رَسُولُ اللهِ (ص) : مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا قُلْتُ مِنْهُمْ. (۱)

فهل یا تُری أنّ المشرکین یسمعون کلام الأحیاء بعد الموت، ورسول الله (ص) لا یسمع کلام أُمّته؟ !

۲۵- یقول الوهّابیّون: إنّ بناء القبور والأضرحه والقبب بدعهٌ وحرامٌ؛ لذلک یجب تخریبها! إذن، لماذا لا یُخرّبون قبّه وضریح النبیّ (ص) فی المدینه المنوّره؟ !

۲۶- إذا کان بناء القبّه والضریح بدعهٌ وحرامٌ، لماذا شُیّدت أضرحهٌ وقببٌ لعلماء أهل السنّه، من أمثال أبی حنیفه والشافعی؟ ! فهل یا تُری أنّ جمیع علماء أهل السنّه، الذین تعاقبوا علی مرّ التاریخ ولم یُخرّبوا هذه الأضرحه، هم من أهل البدعه والمحرّمات؟ ! ومَن الذی شیّد تلک الأضرحه؟ أَلیس أهل السنّه أنفسهم قاموا بذلک؟ ! فعلی أیّ دلیلٍ استندوا عندما بَنوا تلک القبور؟ !

۲۷- إذا کان معیار الشرک هو مجرّد طلب العون من غیر الله

---

۱- صحیح البخاری، کتاب المغازی، باب قتل أبی جهل.

ص: ۶۵

تعالی، فهل حینها یتوجّب علینا أن نجتنب کافّه الأسباب الظاهریّه فی العالم؟ ! فقد قال تعالی فی کتابه الکریم: (أَ فَرَأَیْتُمْ ما تَحْرُثُونَ * أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) . (الواقعه: ۶۳ و ۶۴) فعلی رأیکم یکون الزارع هو الله عزّ وجلّ؛ لذلک یتوجّب علی الناس أن لا یحرثوا الأرض، ولا یسقوها، ولا یُعیروها أیّه أهمیّه؛ لأنّ الخالق قد سلب القدره علی الزراعه منهم واختصّ ها لنفسه! لکنّ الحقیقه هی أنّه تعالی منح خلقَه أسباباً ووسائل یعتمدون علیها فی حیاتهم.

لذلک فنحن نقول: إنّ اتّخاذ الأسباب التی جعلها الله تعالی وسیلهً فی الحیاه الدنیا لنیل المقاصد، لا یخالف التوحید ولا یتنافی معه مطلقاً. وکذلک فإنّ عباده الصالحین قد خصّ هم عزّ شأنه بکرامهٍ، وجعلهم وسائط بینه وبین خلقه، ومکانتهم هذه تقتض-ی أن یکونوا مقاصد لطلب المراد وطلب العون؛ لأنّ القدره التی منحها لهم بارئهم، هی أعظم من قدره الأسباب الظاهریّه فی عالم الوجود، واستخدامهم لهذه القدره لا یُنافی التوحید بوجهٍ، بل مکمّل له.

۲۸- لو فرضنا أنّ شخصاً قصد النبیّ عیسی (ع) وخاطبه: یا

ص: ۶۶

مَن تـدّعی مقـام النبوّه، احیی هـذا المیّت، أو اجعل من هـذا الطین کائناً حیّاً، أو اجعل هـذا الضـریر مُبصـراً، فهل أنّ هـذا الشـخص قد أشـرک بربّه بسـبب طلبه هـذا؟ ! وقـد قـال تعالی فی سوره آل عمران: (أَنِّی قَـدْ جِئْتُکُمْ بِآیَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَهِ الطَّیْرِ فَأَنْفُخُ فِیهِ فَیَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِ اللهِ وَ أُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْیِ الْمَوْتی بِإِذْنِ اللهِ) . (آل عمران: ۴۹)

فالحقیقه أنّ أنبیاء الله تعالی وأولیاءه الصالحین یتمتّعون بقـدرهٍ أفاضـها ربّ العرش العظیم علیهم، حیث یفتقر لها سائر عباد الله؛ لذلک فإنّهم بلا ریب مصدر الفیض القدسی، وحُجَج الله علینا. وبما أنّ التوسّل بالأسباب الظاهریّه التی سخّرها تعالی للبشر - وسائل العیش - لا یُعتبر شرکاً، کذلک فإنّ التوسّل وطلب المدد والعون من مصادر فیض قدرته عزّ وجلّ - أنبیائه وأولیائه - لیس بشرکٍ أبداً.

إنّ مـا ذکرنـا من اسـتفساراتٍ وأسـئلهٍ لیست سوی غیضٍ من فیضٍ، وهنـاک الکثیر من الأسـئله التی یمکن أن نسـتوحیها من الروایات والتاریـخ، ونطرحها علی منکری التوسّل، إلّا أنّنا نکتفی بهـذا القـدر. ومن الجدیر بالذکر أنّ معظم الأسـئله التی طرحناها مسـتوحاه من الروایـات والمصـادر الأساسـیّه التی یعتمـد علیهـا الوهّـابیّون، وقـد ذکرنـا الکثیر منهـا فی متن هـذا الکتیّب، وأشـرنا إلی مصادرهـا فی الهامش.

وفی الختـام نرجو من الله الهـادی أن یلتفت منکرو التوسّـل إلی مـا غفلوا عنه، بعـد أن یطالعوا هـذا الکُتیّب بـدقّه وحیادیّه، وأن یجعلوا الإنصاف نُصب أعینهم.

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلی التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلی أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوزات العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب علی تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ( (sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمة؛

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقدم بکلمة الشکر والتقدیر إلی مکاتب مراجع التقلید منظمات والمراکز، المنشورات، المؤسسات، الکتّیاب وکل من قدّم لنا المساعدة فی تحقیق أهدافنا وعرض المعلومات علینا.

عنوان المکتب المرکزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهید محمد حسن التوکلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البرید الالکترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المکتب المرکزی ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

هاتف المکتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البیع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمین ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹